المحاضرة الثانية: الأسلوبية التعبيرية:

1- النشأة والمفهوم:

نشأت الأسلوبية التعبيرية في إطار معرفي مخلص للسانيات ديسوسير، باعتباره توجها مضادا للمنهج التاريخي وللفلسفة التطورية الكامنة وراءه، وفي هذا الإطار ذي المرجعية الوصفية أسس شارل بالي اتجاهه الأسلوبي،" وقد ارتبطت أفكاره الأسلوبية ارتباطا وثيقا بالدرس اللغوي، واستمدت مقوماتها الأساسية من نظرته إلى اللغة، واللغة عنده نظام من الرموز التعبيرية تؤدي محتوى الفكرة التي تمتزج فيها العناصر العقلية، والعناصر العاطفية، فتصبح حدثا اجتماعيا محضا، وتكشف وجها فكريا وآخر وجدانيا، ويتفاوت الوجهان بحسب ما للمتكلم من استعداد فطري، وبحسب وسطه الاجتماعي، والحالة التي يكون عليها"[1].

اعتمد "شارل بالي" كثيرا على آراء أستاذه دو سوسير خاصة نظرته إلى اللغة، ودراستها كبناء متكامل في فترة زمنية محددة، قبل دراسة التطورات الجزئية التي تطرأ على نطق حرف من الحروف مثلا فتؤدي إلى التغيير في بعض القواعد أو بعض المفردات، إلا أن شارل بالي لم يكتف بالدراسة الأفقية للغة وتجاوزها إلى التأثيرات الوجدانية التي تحدثها الوقائع التعبيرية، باعتبار أن هذه الوقائع خاضعة لمواقف مختلفة ومتباينة باختلاف وتباين فئات المتكلمين "فاللغة عند بالي تتكون من نظام لأدوات التعبير التي تتكفل بإبراز الجانب الفكري من الإنسان، وليست مهمة اللغة مقصورة على الناحية الفكرية وحدها، بل إنها تعمل أيضا على نقل الإحساس والعاطفة"[2] ، وبهذا فإن الدرس الأسلوبي عند بالي يحدده أمران هما :

1- يتكلم فيه عن علاقة اللغة بالتفكير.
2- يضع فيه بالي الأسلوبية خارج الدرس اللساني للنص الأدبي .

إن هذه الالتفاتة من بالي "لم تتجاوز حدود اللغة العامة والشائعة، ولم ينقلها إلى ميدان دراسة الأسلوب، وبذلك ظلت أسلوبية بالي هي أسلوبية اللغة، وليست أسلوبية الأدب"[3] بمعنى أن بالي قد جعل الجانب التأثيري ظاهرة قائمة في اللغة وليست في الاستعمال اللغوي، وبذلك ابتعدت أسلوبية بالي عن دراسة النص الأدبي بمعايير أسلوبية ولم يدخل بالي الأدب في دراسته، ورأى أن علم الأسلوب يجب أن لا يبحث في كيفية استخدام الأدباء لتلك الدلالات المضافة (أو التأثيرات الوجدانية)... والدارس الأسلوبي –إذن في رأي بالي- دارس لغوي محض يدرس الخامات اللغوية من حيث دلالاتها الإضافية، مهما تكن طبيعة النص الذي يدرسه من الأدب كان أو من العلم، أو من الإدارة، أو من شؤون الحياة العادية.

حيث اتجه "بالي" إلى أن الأسلوبية علم يعنى بدراسة طاقة اللغة في التعبير عن الانفعالات الوجدانية، أو القيمة الشعورية الانفعالية المكونة للنظام التعبيري للغة معينة في فترة ما، فهي بذلك علم يدرس عناصر اللغة المنظمة من وجهة محتواها التعبيري والتأثيري، وفي هذا السياق يعتقد بالي أن "مهمة علم الأسلوب هي دراسة نماذج هذه القيم التأثيرية الكامنة في اللغة بوصفها ذات وجود نظامي اجتماعي حي"[4] .

---

[1] -عبد السلام المسدي: الأسلوبية والنقد الأدبي (منتخبات من تعريف الأسلوب وعلم الأسلوب) الثقافة الأجنبية، العدد1، 1982م، ص 35 .

[2] - محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، سبق ذكره، ص 175 .

[3] - موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، سبق ذكره، ص 11 .

[4] - محي الدين محسب وآخرون: علوم اللغة، دار غريب ، القاهرة، دط، 1998م، ص 53 .

يركز هذا المفهوم على الطابع العاطفي للغة، وارتباطه بفكرتي القيمة والتوصيل، إذ أن اللغة تتكون من نظام من أدوات التعبير، التي تستخرج الجانب الفكري من كياننا، كما أن اللغة لا تعبر عن أفكارنا فحسب، بل تعبر أساسا عن عواطفنا، وعندما تظهر هذه الوقائع التعبيرية فإن البحث الأسلوبي هو الكفيل بدراسة ملامحها.

وقد حدد "بالي" مهمة الأسلوبية انطلاقا من فكرة "دي سوسير" التي مؤداها أن اللغة واقعة اجتماعية يمتلكها جميع أعضاء الجماعة المستعملة لها، ولا يمتلكها الفرد الواحد، فجعلها في الكشف عن الوقائع التعبيرية داخل الأوساط التي تختص بها، والمناسبات التي تصلح لها، والأغراض التي تدعو إلى اختيارها، "وبالتالي فإن أسلوبية "بالي" لا تتعلق بظواهر التعبير لدى فرد متكلم معين إلا بالقدر الذي يمثل استعماله اللغوي "واقعة" تعبيرية يمكن نمذجتها"[5].

بمعنى أن "بالي" سعى إلى دراسة منظمة للخصائص الوجدانية (الخصائص التعبيرية) القارة في الاستعمال الحي للغة "فهذه الخصائص القارة هي التي يمكن وضعها في صورة "نماذج" يمكن تحليل محتواها، ووقائعها الأسلوبية التعبيرية"[6].مستبعدا بذلك أحد المفاهيم الأساسية للأسلوب بأنه الطريقة الفردية في إنجاز أمر ما "وإزاء هذا فإن "بالي" يدرك قيمة الوجه الاجتماعي للغة، الذي يراعى فيها حال المتكلم، وحال المخاطَب، والذي يكشف عن مستوييهما الاجتماعي وعلاقة أحدهما بالآخر"[7].

وقد اهتم بالي باللغة المشتركة لهذا وضع اللغة المنطوقة – وهي مادة دراسته- في مقابل الاستخدامات العفوية الواعية والموجهة نحو الجمال، بالإضافة إلى تركيز اهتمامه على المضمون الشعوري لأفعال التعبير، والعلاقة بين الشكل والمعنى، والبحث عن "علاقة التفكير بالتعبير، وإبراز الجهد الذي يبذله المتكلم ليوفق بين رغبته في القول، وما يستطيع قوله"[8].

موارد التعبيرية:

1- المؤثرات الطبيعية: وهي مؤثرات خام قارة في طبيعة بعض الأشكال اللغوية التي تحمل بذاتها

خصائص تعبيرية معينة، وتتوزع هذه الأشكال على مستويات البنية اللغوية الثلاثة: الصوتي والصرفي والتركيبي، وبذلك فإن الأسلوبية التعبيرية تنقسم عند بالي إلى ثلاثة أقسام:الأسلوبية الصوتيمية، والأسلوبية الصرفيمية، والأسلوبية التركيبية، وهي عناوين استخدمها ستيفن أولمان في كتابه "اللغة والأسلوب"[9].

أ- الأسلوبية الصوتيمية: Phonostylistics

وهي تعالج الإمكانات التعبيرية التي تحملها التكوينات الصوتية وفق خصائصها المخرجية والفيزيائية والتوزيعية، ويندرج تحت هذه التعبيرية الصوتية عدد من الظواهر تبدأ من استغلال العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى في ظاهرة المحاكاة الصوتية (الأونوماتوبيا)، وتنتهي عند استغلال الصوتيم الواحد من خلال تواتره التكراري في سلسلة كلامية معينة[10].

---

[5] نفسه: ص 52 .

[6] - نفسه: ص 52 .

[7] - إبراهيم عبد الله: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1994م، ص 20 .

[8] نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 60 .

[9] - ينظر: محي الدين محسب: علوم اللغة، سبق ذكره، ص 55 .

[10] - ينظر: نفسه، ص 56 .

وقد أشار بالي في حديثه عن الإمكانات التعبيرية الكامنة في المادة الصوتية إلى جملة من الظواهر وهي " الأصوات المتميزة وما يتألف منها، وتعاقب الرنات المختلفة للحركات، والإيقاع، والشدة، وطول الأصوات، والتكرار، وتجانس الأصوات المتحركة والساكنة، والسكنات ..."[11] .

ب – الأسلوبية الصرفيمية: "وهي تعالج الجوانب التعبيرية الكامنة في طبيعة التكوين الصرفي للكلمة، وفي المدى التوزيعي الذي يشغله نوع معين من أنواع الكلم (أسماء، أفعال، صفات، ظروف...) في سلسلة كلامية معينة، وفي العلاقات الدلالية (الترادف، التضاد ...) القائمة بين الكلمات في هذه السلسلة وفي المجالات الدلالية التي تنتمي إليها هذه الكلمات"[12].

ج – الأسلوبية التركيبية:

"وهي تعالج الطاقات التعبيرية الكامنة في أشكال التركيب النحوي للجمل، وذلك مثل ما يحدث – لاعتبارات تعبيرية- من تقديم وتأخير، وحذف، واختياربدائل تركيبية لصيقة بالتعبير عن الجوانب الوجدانية، مثل: التعجب، والمدح، والذم، والاستفهام ...الخ"[13].

2- المؤثرات الاستدعائية: يكون هذا النوع ضمن العلاقة بين الأشكال اللغوية والظروف والمواقف والوسائط التي تستخدم فيها، وعليه فإن تعبيرية هذا النوع مستمدة من هذه العلاقة :

الشكل اللغوي ⟷ الاستعمال الاجتماعي

ولقد حاول بالي أن يقدم ثبتا للأساليب قائما على نوع العلاقة بين الشكل اللغوي والفئة الاجتماعية التي تستخدمه، أو النشاط الاجتماعي الذي يستعمل فيه، فهناك لغات الطبقات الاجتماعية، واللغات المهنية، ولغات أجناس الخطاب (علمية، أدبية، شعرية).

"هناك إذن لغات خاصة بطبقات اجتماعية بعينها كالأوساط الفلاحية والريفية والمهنية مثل الطب، والإدارة الفنية والعلمية، مثل الخطاب العلمي، والخطاب الأدب، ولكل طبقة اجتماعية من هذه الطبقات استعمالات وسلوكات تتميز بها عن غيرها، وهذا يعني أن لكل فئة لغوية مشاعر ومواقف ذهنية واجتماعية خاصة"[14]، إن الأسلوبية التعبيرية تدرس هذه الوقائع التعبيرية من حيث مضامينها الوجدانية.

ومن خصائص الأسلوبية التعبيرية:

- أسلوبية التعبير تدرس علاقات الشكل مع التفكير.
- أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة أو عن الحدث اللساني.
- أسلوبية التعبير أسلوبية للأثر، إذ أنها تتعلق بعلم الدلالة، أو دراسة المعنى.
- تعتد أسلوبية التعبير بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوي[15].

<u>نقد وتقويم:</u>

---

[11] - نفسه: ص 57 .

[12] - نفسه: ص 58 .

[13] - نفسه: ص 61 .

[14] - رابح بوحوش:الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، دط، دت، ص33 .

[15] - منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 2002م، ص 42 .